الفصل التاسع

المرحلة الأولى : " لاعب ابنك سبعًا"

العطاء :

" أطفالنا تلك المخلوقات الغضة الطرية ، تضحك فتأسر قلوبنا، تبكي فتفطر أكبادنا ، تنمو أمام أعيننا يومًا بعد يوم فتملأ حياتنا سعادة وبهجة ، لكن علينا الانتباه فهي مخلوقات ضعيفة تحتاج لرعاية شديدة ، تلك الرعاية تشمل كل الجوانب الجسدية والعقلية والروحية والاجتماعية ، وهذا ما يجهله الكثيرون منا لذا ترانا نهتم أكثر ما يكون بالناحية الجسدية ، متغافلين عن الجوانب الأخرى ، ثم بعد ذلك نفاجأ بظهور مشاكل أبنائنا التي تعكر صفو حياتنا ، ونبدأ في إلقاء اللوم على البيئة المحيطة والمجتمع ، ونحن أول من قصَّرنا"

" هل تعني أنَّ علينا تنمية عقل الطفل وهو مازال صغيرًا ؟"

" إن هذا هو عملنا الأهم ، قبل تنمية جسده"

" لكن فكرتنا السائدة تخالف ذلك ، فأنا لا أفهم ما معنى أن

ننمي عقله وهو بعد لم يكمل العام الواحد ، هل سيفهم الطفل ذلك ؟"

"عندما تمارس معه ما تتطلبه المرحلة العمرية سيفهم بالتأكيد، لقد جاء لهذه الحياة ليفهم ما عليه أن يفعله في مراحل عمره المختلفة. والآن سأشرح لك كيف يعمل عقل الطفل الصغير هذا ، ولكن قبل هذا سأسألك سؤالاً : ماذا تفعل عندما تعين موظفًا جديدًا لا يعرف عن أهداف شركتك ورسالتك شيئًا ؟ لكنك ترى فيه مميزات كبيرة ومن أجلها قمت بتعيينه"

" سأجعله تحت مباشرة أحد الاكفاء عندي ، ونوليه مهام بسيطة في البداية حتى يتدرب"

"رائع وبالتأكيد ستغفر له الأخطاء في البداية، وذلك حتى يتعلم ويتقن"

" بالتأكيد"

" هكذا الحال مع أطفالنا ، لابد لنا أن ندربهم ونعلمهم ونقويهم تلك السبع سنوات دون محاسبتهم على الأخطاء بشكل مباشر ،

حتى يتم تدريبهم بكل قوة استعدادًا لإتقانهم أعمالهم ، ويتم التدريب خلال تلك المرحلة بواسطة الملاعبة ، وأنا لا أقصد اللعب هنا إنما أقول الملاعبة"

" وما الفرق بينهما ؟"

"الفرق شاسع . الملاعبة معناها مشاركة اللعب أي أن تشترك في اللعب مع ابنك أما اللعب فمعناه أن تسمح له باللعب فقط ، وقد تلعب أنت دور المتفرج ، وكلما شاركت ابنك في اللعب كلما تدرب أكثر ونما عقله أكثر وأكثر ، هل تعرف شيئًا عن عقول الأطفال وكيف يتعلم الطفل ؟"

" مجرد معلومات متناثرة لا تكوِّن فهمًا واضحًا"

" إن مخ أطفالنا يحتوي على بلايين الخلايا العصبية ، هذه الخلايا العصبية تترابط مع بعضها بشبكة واسعة من الألياف ، وكلما قويت هذه الألياف واشتدت تلك الروابط كلما زاد نمو الطفل العقلي، وهذا شرح مبسط"

" وما علاقة الملاعبة بذلك النمو ؟"

" من أفضل فوائد اللعب في وجهة نظري أنه يجسد لنا الحياة في كل نواحيها ، فالملاعبة لها أكثر من شكل ... قد تكون على هيئة لعبة منافسة ، والحياة منافسة في أكثر أوقاتها .... وهكذا ، لذلك يقول علماء النفس أن الإنسان أطول الحيوانات فترة حضانة لهذا السبب لأن حياته أكثر تعقيدًا "

" ولكن هل ألعب مع أبنائي طوال الوقت في تلك الفترة "

" كلا بالطبع فلا أحد يستطيع أن يمضي وقته ملاعبة طوال تلك السنوات ، لكن عليك تقدير الأمر بهذا الأسلوب ، وأن تتبنى طريقة الملاعبة كأساس لتنمية طقلك في كل النواحي وللملاعبة اكثر من شكل أذكر لك أولاً أفضلها وأكثرها حباً إليَّ وما أعده أفضل أسلوب للتعليم على مر العصور :

- حكاية القصة :

" إنَّ فنَّ حكاية القصة هو أفضل أسلوب تعليمي على مَرِّ العصور به علمنا الأنبياء، وبه يتفاضل المعلمون ، وكم أثرت فينا قصص وغيرت حياتنا ومع كل هذا فإنني لا أرى أحدًا من الآباء يهتم بها أو يعيرها انتباهًا "

"عندك حق ، فإنني وإن كنت من هؤلاء الذين لا يعيرون ذلك انتباهًا ، إلا أنك ذكرتني الآن بحكايات جدتي ، وكم كنت أستمتع بذلك عندما كنت صغيرًا"

"القصة من أعظم الأساليب التعليمية لكن أسلوب حياتنا المتسارع جعلنا ننسى ذلك بل وأحيانًا نتهم من يدعو لذلك بالتفاهة، وميزة القصة أنها أسلوب تعليم غير مباشر ، ليس فيها توجيه ولوم ونصح ، تلك الأعراض التي تجعل المتكبر يصرف وجهه والمغرور يزيد استعلاءً ، والخجول ينزوي داخل نفسه"

" إنني أكاد أحترق ألمًا ، إن ابنتي الصغيرة ذات الخمس سنوات، لا أذكر أنني حكيت لها قصة ذات مرة، قد أكون لاعبتها بعض المرات عندما سمح لي وقتي لكن القصة فلا أذكر إطلاقًا"

"كم أنت مقصر في حق ابنتك تلك، ومن أين لها أن تتعلم، ومن أين لها أن تتشابك الروابط الداخلية بين خلايا مخها العصبية؟"

أثر فيّ تأنيبه كثيرًا ، لكنَّ عزائي الوحيد كان رغبتي الجارفة في التعلم ، شغفي الذي لن يهدأ حتى يشرب معلوماته تلك كما يشرب

الماء الإسفنج ، وأضع كل ما أتعلمه محل التطبيق لذا قلت :

" ومن أين لك بقصص جيدة ؟"

ضحك قائلاً : " القصص القرآني بما يحمله من حكمة بالغة ، ثم كتب قصص الأطفال ، ولابد أن تنوع بين ما تسرده على طفلك ، وتنتقل بين أقسام الآداب المختلفة ، ولا تغفل جانب الخيال والقصص الأسطورية ، وقصص الحيوانات ، ولتضع لك خطة جيدة في ذلك ليكون لما تفعله فائدة كبيرة"

" بمعنى ؟"

" أولاً : لابد أن تعرف كيف تصل لأعلى فائدة من حكاية القصة لأولادك ، وذلك لكي تجني أعظم الفوائد ، ونصيحتي لك أن تقترب كثيرًا من ابنك أو ابنتك عند حكاية القصة كأن تستلقيا معًا أو يكون في حضنك ، لكي يشعر بأهميته عندك وليشعر بحبك يغمره ، ولتتلاقا أنفاسكما"

" قد يكون مفيدًا أن أفعل قبل النوم ، كما يقال قديمًا حكاية قبل النوم"

" لو استطعت أن تجعل هذا يوميًا فافعل ، واجعلها حكايات آمنة سعيدة ، لكي ينام نومًا هادئًا ، فالإنسان قد يحلم بآخر ما فكر فيه ، وقد يضطرب نومه عندئذ من حكاية لم ترق له أو أثارت أعصابه .

واجعل لنفسك أهدافًا من وراء حكاية القصة فعندما تريد أن تعطيه نموذجًا يتعلمه في الأخلاق الحسنة مثلاً ، سوف تحكي له قصة عن الأخلاق ومميزاتها وما تعود به على صاحبها من فائدة عظيمة في الدنيا والآخرة ، وتركز في النهاية على ذكر الفائدة وتكررها أمامه ويعيدها خلفك ، وبتكرار ذلك الأمر ينغرس في عقله الباطن ، وينمو وهو موقن تمامًا بفائدة ذلك "

" هل كنت تفعل ذلك مع أبنائك ؟"

"بالطبع كنت أفعل كلما استطعت ذلك ، لكن زوجتي هي صاحبة الفضل الأكبر في ذلك ، فقد كانت تفعل ذلك أكثر مني، وكنت أتابع الأمر كل فترة"

" وكيف تجد الوقت لذلك ؟"

" سأعلمك كيف تجده ، وستجد نفسك في نهاية الأدرًا على

فعل ذلك"

" إن ثقتي فيك صارت عمياء كما يقولون"

" هي في محلها ، لنكمل :

ثانيًا : اختبار الأبناء . يتعين على الآباء أن يضعوا جدولاً بسيطًا لتعليم فضيلة ما من خلال القصة ثم نختبر الابن في ذلك ليعلموا مدى نجاحهم"

" ألم يكن ذلك صعبًا ؟"

" كلا الأمر أسهل من ذلك بكثير فقط متابعة بسيطة ، كما أنك متى ما فعلته مع ابن ، صار سهلاً أن تفعله مع الجميع ، وسأضرب لك مثالاً على ذلك فقد كانت القصة في وقت ما تحث على الأمانة، ولاختبار ذلك وضعت بعض النقود أمام ابنتي الصغيرة "مي" لأرى كيف تأثرت بالقصة ولما رأتها أعادتها لي بالفعل ، وفي كل مرة كنا نختبر فيها أبناءنا كانوا ينجحون في الاختبار ، مما يؤكد فائدة القصة بالنسبة للأطفال الصغار الذين لم يتلوثوا بمتغيرات المجتمع"

" نعلِّم ونختبر ، ما أروع هذا الكلام ..... ولكن ماذا لو فشل

اختباري لأحد أبنائي ، هل أؤنبه لأنه لم يستوعب الرسالة التي أردنا أن نوصلها إليه ، أم أحرمه من شيء ما ، أم ماذا ؟"

"كلا بالطبع لا تأنيب ، وإنما توضيح ، فالطفل الذي يخطئ لا يقصد الخطأ في حد ذاته، بمعنى أنه لا يتعمَّد ذلك بقدر ما أنه لم يدرك ماذا عليه أن يفعل" " كثيرًا ما أخطأنا عندما كنا صغاراً ، وطريقة معاملة أبائنا وأمهاتنا معنا كانت تضع لنا حدًا فاصلاً" .

التهذيب :-

- لا تأمره ولا تنهاه :

طفلك الصغير لا تبالغ معه في الأمر والنهي فهو لا يفهم مغزى ذلك ، وإن كان يفهم كلامك إلا أنه لا يفهم مغزاه ، لأن عقله لا يعرف كيف يربط تفكيره بالخاتمة أو النهاية التي ستحدث.

"لكنه قد يضر نفسه"

"عليك أن تبعد عن متناول يديه كل ما يضره في الثلاث سنوات الأولى وبعد ذلك سيفهم من خبرته التي كونها بنفسه أو عن طريق والديه .

لكن الأهم هو أن عليك وضع قواعد يسمعها هو دون أن يكون لها توجيه مباشر يخصه هو"

"هل توضح لي بمثال"

"الأطفال الصغار لا يفهمون الارتباطات التي تحدث من وجود سبب ومسبب، بمعنى أن الواحد لا يمسك الكهرباء بيده لعلمه بالضرر الذي سيقع ، وهذه هي العلاقة التي أتكلم عنها .

لكنها ليست موجودة عند الطفل ، لذا عندما يقع في مشكلة ، وتحاول نهيه أو أمره سيعاند"

" ولكن كيف أوجهه ؟"

" باللعب والقصة ، وسيستجيب بشدة لذلك"

" هل تعني أن أمنع الأمر والنهي نهائيًا ؟"

" لن يستطيع أحدنا أن يفعل وإنما اعمل على تقليله"

" ومن طرق التهذيب في تلك المرحلة :

- القدوة :

" ينبغي علينا أن ندرك جيدًا أن أبناءنا قد جاءوا تلك الحياة كالصفحات البيضاء ليس عليها كتابة ، ونحن من يكتب على تلك الصفحات"

كررت عبارته من شدة ما أعجبتني " صفحات بيضاء ، ونحن من يكتب عليها" يالها من عبارة .

" إن الطفل يكتسب معظم صفاته من أبويه ، وكثيرًا ما تسمع الأبوين يقولان لك لا نعلم من أين لهذا الولد تلك الصفات السيئة، وهي في الأغلب صفاتهما ، أو صفات اكتسبها من محيط خارجي ، لكنهما لم يهذبا تلك الصفات .

إنني أقول أن الأب والأم يمسكون بقلم ليكتبوا على تلك الصفحات البيضاء التي وهبها لهم الله ، لكن عليهم أن يمسكوا بمحاة أيضًا ، لكي يزيلوا أي أثر سيء قد يكتسبه الأبناء من الخارج"

"أقلام ومحاة بيد الآباء، رائع"

"الطفل في السبع سنوات الأولى تتشكَّل أخلاقه بما يراه من أخلاق والديه ، ولذا فإنك عندما تريد أن تعلمه خُلُقًا جيدًا عليك أن تفعله أولاً ، وهي القدوة التي تكلمنا عنها سابقًا ، لكن لا تخف فبعد ملاعبة الطفل ، وحكايات القصص معه سيرتبط بك الطفل ارتباطًا وثيقًا ، ويحبك حبًا جمًا ، وعندها تكون القدوة صالحة ومؤثرة"

"لكن مهلاً ، الكثير من أبنائي كانوا ينفذون ما أقول وهم صغار حتى إذا كبروا لم يعد لي عليهم أي سلطة تذكر"

"ذلك لأنك لم تحسن التعامل معهم كبارًا ، يسهل علينا جميعًا أن نتحكم في طفل ، لكن من الصعب جدًا أن نتحكم في مراهق أو شاب"

"ولماذا تتغير نظرتهم ؟"

"لأنك لم تستوعب أن وضعهم النفسي والشخصي قد تغير، الأبناء يتغيرون ولابد لك من مجاراة ذلك التغير بالتغيير في الأسلوب .

وبعد ذلك للمصاحبة :

- امنح لقبًا :

"هل فكرت يومًا أن تمنح أبناءك لقبًا ليرتبط بهم طوال حياتهم، وليساعدهم على حسن الأداء في حياتهم ؟"

" هل تقصد لقبًا حسنًا ؟ ام لقبًا سيئًا ؟"

بابتسامة هادئة قال : " بل اللقب الحسن هو قصدي"

" بالطبع لا ومن منا يفعل هذا، قد تجد معظم الآباء يلقبون أبناءهم بكل ما هو سيء"

" لقد ذكرتني بواحد من الأصدقاء كنت ذاهبًا لزيارته في بيته وعنده ولد وبنت وجاء الولد والبيت ليسلما علي فقال : " أقدم لك ابنتي "..." وهي شيطانة البيت لا تكاد تصبر عن أعمال الشقاوة دقيقة واحدة ، وهذا "..." ابني الصغير بارع في إلقاء المصائب على رأسي" .... هيا اذهبا والعبا بعيدًا .

أرأيت ؟.. إننا نصف أبناءنا بصفات سيئة حتى يقتنعوا بها بل

ويعملوا بها أيضًا"

" وهل من فائدة للألقاب الحسنة ؟"

" بالطبع ، وإلا فلماذا لقب رسولنا صلى الله عليه وسلم أصحابه بأجمل الألقاب وأحسنها ، أتراها لم تؤثر فيهم ؟ لقد أثرت أعظم تأثير"

" لكنهم كانوا يستحقونها ، أقصد كل واحد يعمل عملاً يستحق عليه لقبًا"

" وأولادك يفعلون لكنك لا ترى"

" حقًا ؟ إنني لا أرى لهم منفعة فيما يفعلون"

" دعنا نبحث سويًا ، ما أفضل ما يميز ابنتك الصغيرة مثلاً ؟"

" إنها رقيقة جدًا ويؤثر فيها أي شيء"

" لقبها بذلك "ريم الرقيقة" وسوف تحبك أكثر وأكثر"

يالحنكته، بالطبع سوف تحب ابنتي ذلك ومن لا يحب .

ومن طرق المصاحبة أيضًا :

- توسيع الأفق :

لكي توسع أفق طفل في خلال سنواته الأولى يعتمد الأمر على حديثك معه كثيرًا وكما أوضحنا أنه يتم من خلال الملاعبة تعليم الطفل الكثير والكثير .

وأيضًا من خلال القصة سيتعلم الكثير ، ولكن هناك أيضًا الأوقات التي يقضيها الأب والأم بالقرب من الابن ... فكيف يوسعا أفقه فيها؟

بالحديث الجاد ... بمعنى إذا أخذت ابنك معك مكانًا ما ، فحدثه وكأنه يعي ما تقول ، وقد كنت أفعل ذلك مع أبنائي ، فبينما أشتري كنت أهمس في أذن طفلي بحديث رسول الله "رحم الله رجلاً سمحًا إذا باع سمحًا إذا اشترى سمحًا إذا خاصم" وأنا أعلم أنه لا يستوعب كلامي إلا أنه سيقع في قلبه من كثرة سماعه ويتناغم أمام عينيه مع ما أفعله من تصرف يتوافق مع ذلك .

أثناء سيري مع طفلي الصغير أخبره عن البنايات وأن ارتفاعها

شاهق وأن السيارة تسير بالبنزين وأن كل ذلك من نِعم الله علينا .

"لكنه لن يفهم"

"إن كان صغير السن لن يفهم لكن سيقترب منك ، وهذا هو ما نريد من المصاحبة، لكن وابنتك تبلغ خمس سنوات فستحب ذلك كثيرًا ، وستتجاوب معك وستوسع أفقها بالفعل بذلك التصرف ثم في النهاية يا صديقي أذكرك بشيء هام لم نتكلم عنه وهو بالغ الأهمية"

" وما هو ؟"

" التلفاز يا صديقي .. احذر التلفاز على أبنائك فهو على درجة كبيرة من الخطورة"

" وما مدى تلك الخطورة ؟"

" تتمثل خطورة التلفاز في ثلاثة أمور :

أولها : أنه يؤثر على نمو الطفل العقلي .

فكلما شاهد أطفالنا التلفاز كلما أثر على نمو عقولهم ، وكما أخبرتك

عن خلايا المخ العصبية والتي تزداد قوة بالتفاعل مع الواقع المحيط ، أما في حالة جلوس الطفل أما التلفاز فإنه يتحول إلى مستقبل لما يعرضه ذلك الجهاز فقط وهو مما يؤثر على عقله بشدة .

أتشاهد الأطفال أمام التلفاز وكيف يجلس كل واحد منهم فاغرًا فاه بشكل أقرب إلى البلاهة ، وذلك من شدة الإدمان .

"بالفعل"

" لذلك يجب تحديد جلوسهم أما التلفاز ، وتقليل المدة لما لا يتجاوز ساعة يوميًا أو أقل"

وثانيها : من مخاطر التلفاز أنه يحل محل القراءة .

" من أخطر مشاكل التلفاز أنه يحد من قراءة الأطفال كثيرًا ، وذلك لأن القراءة تحتاج للخيال والتلفاز يقتل الخيال عند الطفل ، وأقصد هاهنا التخيل البناء"

ثالثها : أن الولد يقلد ما يشاهده .

" والتقليد من أخطر ما يصيب الأطفال بعد مشاهدة لقطات

العنف والإجرام"

" ياللخطورة"

" وفي النهاية لا تنس الدعاء يا صديقي ، الدعاء ييسر كل عسير"

تركني لتطبيقي العملي الذي يعطيني القوة ، عدت لبيتي ومعي كنوز المعرفة التي منحني الله إياها على يد مراد .

سأطبق ما تعلمته مع ابنتي ريم صاحبة الخمس سنوات .

التطبيق الثالث

لكني أشركت زوجتي معي بالطبع فيما تعلمت ، وقد أعجبها الكلام كالعادة ، واتفقنا أن نناديها ريم " الرقيقة " وتفتق ذهن زوجتي عن فكرة عظيمة فقد أحضرت ورقة سريعًا وقلمًا وقالت لي :

" هيا نكتب لها على الورقة رسالة منا "

" هيا " وقد أعجبتني الفكرة .

وكتنا ما يلي : من والدين محبين إلى ابنتنا ريم الرقيقة ، نحبك ونتمنى من الله أن يبارك فيكي .

ووضعناها في غرفتها أثناء لعبها .

وما أن رأت ذلك حتى أخذتها الدهشة وأسرعت بالورقة إلينا وهي ترتمي في أحضاننا ، وتأخذ بالورقة لتريها لكل من في البيت ، وهي في غاية السعادة .

وقلت لزوجتي " أين كنا منذ زمن ؟ "

" كنا في سبات عميق "

بالفعل لقد كنت في عداد الأموات ، لقد شعرت بمعنى الأبوة ، أحسست إحساسًا مختلفًا مع كل تصرف مع أبنائي يزكي حبهم لي ولأمهم .

وقد اصطحبتها معي لممارسة الرياضة والتنزه ، ومضيت أتحدث معها وهي لا تكاد تصدق نفسها ، وخرجنا معها أنا وأمها في اليوم التالي ، وقضينا وقتًا رائعًا ....

ما أجمل الحياة مع أبناء تحبهم ويحبونك ، تفهمهم ويفهومنك .

وقد حدثت مفاجأة أثناء نزهتنا حيث قالت لنا ريم :

" أبي . أمي ، إنني لن أتبول أثناء الليل مرة أخرى ، إنني لا أحب ذلك ، ولن أفعله "

انتهزت الفرصة وقلت " هل تريدين مساعدة منا ؟ "

قالت " نعم "

" قلت لنضع بعض القواعد :

أولاً : عليك بالابتعاد عن السوائل قبل النوم بفترة ، ولتكن ساعتين .

ثانيًا : لابد من الذهاب للتبول قبل النوم مباشرة .

ثالثًا : عليك بالدعاء قبل النوم ، أن يساعدك الله على التخلص من ذلك الفعل .

رابعًا : سنحكي لك قصة قبل النوم يوميًا كلما أمكن .

خامسًا : نحن نحبك .

قلتها واتحضناها أنا وأمها .

أتريدون أن أخبركم بنتيجة ذلك العهد ؟ ، حسنًا إليكم التالي ، منذ ذلك اليوم ولمدة سنة كاملة لم تتبول ريم أثناء النوم ليلاً ، ولله الحمد .

وانتظرت اليوم التالي لملاقاة صديقي .

من قصيدة " كن أبًا ولا تتنح جانبًا"

ومن بعـدها أدِّبـه سبعًا ... واربـط دنيـاه بأخـراه

علِّـم أدِّب واحذر ضربًا ... يزيـد عن الحد فتخـشاه

امنح واحرم وكن مستمعًا ... أنصت فاوض وابغ رضاه

وازرع في أنفسـهم ثقـةً ... وسِّع أفـقًا وادع اللـه